تَرجَمَةُ الإمام النَّووى

نقلا عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبى

نسبه ، مولده ، ابتداء اشتغاله ، حرصه على العلم :

النووى الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحزامى الحوارىى الشافعى، صاحب التصانيف النافعة.

مولده فى المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقدم دمشق سنة تسع وأربعين فسكن فى الرواجية يتناول خبز المدرسة، فحفظ التنبيه فى أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع المهذب حفظا فى باقى السنة على شيخه الكمال بن أحمد ثم حج مع أبيه وأقام بالمدينة شهرا ونصفا ومرض أكثر الطريق ، فذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار : أنّ الشيخ محيى الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درسا على مشايخه شرحا وتصحيحا؛ درسين فى الوسيط، ودرسا فى المهذّب ، ودرسا فى الجمع بين الصحيحين ، ودرسا فى صحيح مسلم، ودرسا فى اللمع لابن جنى، ودرسا فى إصلاح المنطق، ودرسا فى التصريف، ودرسًا فى أصول الفقه، ودرسًا فى أسماء الرجال، ودرسا فى أصول الدين .

قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل وتوضيح عبارة وضبط لغة، وبارك الله تعالى فى وقتى ، وخطر لى أن أشتغل فى الطب ، فاشتغلت فى كتاب القانون، وأظلم قلبى وبقيت أيّاما لا أقدر على الاشتغال ؛ فأشفقت على نفسى وبعت القانون فنار قلبى .

شيوخه :

سمع من الرضى بن البرهان ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز بن محمد الأنصارى ، وزين الدين بن عبد الدائم ،وعماد الدين عبد الكريم الخراسانى، وزين الدين خلف بن يوسف، وتقى الدين بن أبى اليسر ، وجمال الدين بن الصيرفى ،وشمس الدين بن أبى عمر ، وطبقتهم .

وسمع الكتب الستة، والمسند ، والموطأ ،وشرح السنة للبغوى، وسنن الدارقطنى ، وأشياء كثيرة .

وقرأ الكمال للحافظ عبد الغنى علاء الدين ، وشرح أحاديث الصحيحين على المحدث ابن إسحاق إبراهيم بن عيسى المرادى ،وأخذ الأصول على القاضى التفليسى ،

وتفقه على الكمال إسحاق المعرّى ، وشمس الدين عبد الرحمن بن نوح ، وعز الدين عمر بن سعد الأربلى ، والكمال سلار الأربلى ، وقرأ اللغة على الشيخ أحمد المصرى وغيره ، وقرأ على ابن مالك كتابا من تصنيفه ، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصبر على المعيشة الخشنة فى المأكل والملبس كلية لا مزيد عليها ، ملبسه ثوبه خام ، وعمامته سبجانية صغيرة .

تلاميذه :

تخرج به جماعة من العلماء منهم : الخطيب صدر سليمان الجعفرى ، وشهاب الدين أحمد بن جعوان ، وشهاب الدين الأربدى وعلاء الدين بن العطار ، وحدث عنه ابن أبى الفتح ، والمزى ، وابن العطار .

اجتهاده ، حفظه ، زهده :

قال ابن العطار : ذكر لى شيخنا رحمه الله تعالى أنه كان لا يضيع له وقتا لا فى ليل ولا فى نهار حتى فى الطريق، وأنه دام ست سنين ثم أخذ فى التصنيف والإفادة ، والنصيحة وقول الحق. قلت : مع ما هو عليه من المجاهدة بنفسه والعمل بدقائق الورع والمراقبة وتصفية النفس من الشوائب ومحقها من أغراضها كان حافظا للحديث وفنونه ورجاله وصحيحه وعليله ، رأسا فى معرفة المذهب .

قال شيخنا الرشيد بن المعلم : عذلت الشيخ محيى الدين فى عدم دخوله الحمام وتضييق العيش فى مأكله وملبسه وأحواله وخوفه من مرض يعطله عن الاشتغال فقال : إن فلانا صام وعبد الله حتى اخضر جلده،وكان يمتنع من أكل الفواكه والخضار ويقول: أخاف أن يرطب جسمى ويجلب النوم .

وكان يأكل فى الليلة والليلة أكلة ، ويشرب شربة واحدة عند السحر . قال ابن العطار: كلمته فى الفاكهة،فقال: دمشق كثيرة الأوقاف وأملاك من تحت الحجر والتصرف لهم ولا يجوز إلا على وجه الغبطة لهم ثم المعاملة فيها على وجه المساقاة وفيها خلاف، فكيف تطيب نفسى بأكل ذلك وقد جمع العطار سيرته فى ست كراريس ؟!

تصانيفه :

من تصانيفه : شرح صحيح مسلم ، ورياض الصالحين ، والأذكار ، والأربعين ، والإرشاد فى علوم الحديث ، والتقريب ، والمبهمات ، وتحرير الألفاظ للتنبيه ، والإيضاح فى المناسك ، وله ثلاثة مناسك سواه ، والتبيان فى آداب حملة القرآن ، والفتاوى ، والروضة أربعة أسفار ، وشرح المهذب إلى باب المصراة فى أربع مجلدات، وشرح قطعة من البخارى وقطعة من الوسيط ،وعمل قطعة من الأحكام ، وجملة كثيرة

من الأسماء واللغات، ومسودة فى طبقات الفقهاء ومن التحقيق إلى باب صلاة المسافر .

ورعه :

كان لا يقبل من أحد شيئا إلا فى النّادر ممن لا يشتغل عليه ، أهدى له فقير إبريقا فقبله، وعزم عليه الشيخ برهان الدين الإسكندرانى أن يفطر عنده فقال : أحضر الطعام إلى هنا ونفطر جملة فأكل من ذلك وكان لونين وربّما جمع الشيخ بعض الأوقات بين إدامين .

مواقفه مع الملوك فى الأمر بالمعروف :

وكان يواجه الملوك والظلمة بالإنكار ويكتب إليهم ويخوفهم بالله تعالى ، كتب مرة: من عبد الله يحيى النووى . سلام الله ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الأمراء بدر الدين أدام الله له الخيرات وتولاه بالحسنات وبلغه من خيرات الدنيا والآخرة كل آماله ، وبارك له فى جميع أحواله آمين . وينهى إلى العلوم الشريفة أن أهل الشام فى ضيق وضعف حال بسبب قلة الأمطار ، وذكر فصلا طويلا وفى طى ذلك ورقة إلى الملك الظاهر ، فردّ جوابها ردّا عنيفا مؤلما فتكدّرت خواطر الجماعة .

وله غير رسالة الملك الظاهر فى الأمر بالمعروف، وكان شيخنا ابن فرح يشرح على الشيخ الحديث فقال نوبة: الشيخ محيى الدين قد صار إلى ثلاث مراتب كل مرتبة لو كانت لشخص لشدت إليه الرحال: العلم، والزهد ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وفاته :

سافر الشيخ فزار بيت المقدس وعاد إلى نوى فمرض عند والده ، فحضرته المنية فانتقل إلى رحمة الله فى الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستمائة ، وقبره ظاهر يـزار . قاله الشيخ قطب الدين اليونينى ، وقال : كان أوحد زمانه فى العلم والورع والعبادة والتقلل وخشونة العيش ، واقف الملك الظاهر بدار العدل غير مرة فحكى عن الملك الظاهر أنه قال : أنا أفزع منه .

ولى مشيخة دار الحديث . قلت : وليها سنة خمس وستين بعد أبى أسامة إلى أن مات قدس الله سرّه .

مقدمة الأربعين النووية

الحمد لله رب العالمين ، قيوم السموات والأرضين ، مدبّر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى المكلفين لهدايتهم وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية ، وواضحات البراهين ، وأحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيدَ من فضله وكرمه، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، أفضل المخلوقين المكرم بالقرآن العزيز ، المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، المخصص بجوامع الكلمِ وسماحة الدين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيّين والمرسلين، وآل كلٍ ، وسائر الصالحين .

أما بعد :

فقد روينا عن على بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبى الدرداء، وابن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، رضى الله عنهم ــ من طرق كثيرات بروايات متنوعات ــ أن رسول الله ﷺ قال : «من حفظ على أمتى أربعين حديثا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فى زمرة الفقهاء والعلماء»، وفى رواية: « بعثه الله فقيها عالما »، وفى رواية أبى الدرداء: « وكنت له يوم القيامة شافعا وشهيدا »، وفى رواية ابن مسعود: « قيل له : ادخل من أى أبواب الجنة شئت »، وفى رواية ابن عمر: « كتب فى زمرة العلماء، وحشر فى زمرة الشهداء » .

واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإن كثرت طرقه وقد صنف العلماء رضى الله عنهم فى هذا الباب ما لا يحصى من المصنفات؛ فأول من علمته صنف فيه: عبد الله بن المبارك ، ثم محمد بن أسلم الطوسى العالم الربانى ، ثم الحسن بن سفيان النَّسوى ، وأبو بكر الآجرى ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم الأصفهانى ، والدارقطنى ، والحاكم ، وأبو نعيم ، وأبو عبد الرحمن السّلَمىّ ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو عثمان الصّابونى ، ومحمد بن عبد الله الأنصارى ، وأبو بكر البيهقى ، وخلائق كثيرةٌ لا يحصون ، من المتقدمين والمتأخرين .

obeikandl.com

وقد استخرت الله تعالى فى جمع أربعين حديثا ، اقتداء بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام .

وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ، ومع هذا فليس اعتمادى على هذا الحديث ، بل على قوله ﷺ فى الأحاديث الصحيحة : «ليبلغ الشاهدُ منكم الغائب » ، وقوله ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأدّاها كما سمعها » .

ثم من العلماء من جمع الأربعين فى أصول الدين ، وبعضهم فى الفروع ، وبعضهم فى الجهاد ، وبعضهم فى الآداب ، وبعضهم فى الخطب ، وكلها مقاصد صالحة ، رضى الله تعالى عن قاصديها، وقد رأيت جمع أربعين أعم من ذلك كله ، وهى أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، وقد وصفه العلماء رضى الله عنهم بأن مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك ثم ألتَزم فى هذه الأربعين أن تكون صحيحةً ، ومعظمها فى صحيحى البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى .

وأذكرها محذوفة الأسانيد ؛ليسهل حفظها ، ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى، ثم أتبعها بباب فى ضبط خفّى ألفاظها (١) ، وينبغى لكل راغب فى الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث ، لما اشتملت عليه من المهمات ، واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات، وذلك ظاهر لمن تدبّره ، وعلى الكريم اعتمادى، وإليه تفويضى وإسْنَادى، وله الحمد والنّعمة ، وبه التوفيق والعصمة .

(١) لم يعثر شراح الأربعين على هذا الباب .